

فسوة القلب

(أسبابها ومظاهرها وعلاجها)

لفضيلة الشيخ الدكتور :
وليد بن إدريس بن عبد العزيز المنيسي

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

الناشر

دار الجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا،
من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله- صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم- أما بعد،

فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند حسن من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكاً إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال صلى
الله عليه وسلم (امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين)^١
وفي لفظ (إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين،
وامسح رأس اليتيم)^٢.

في هذا الحديث يتضح لنا أن أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا يتفقدون قلوبهم، وينظرون
إلى ما يطرأ عليها من قسوة ورقة وصحة وضعف

^١ مسند الإمام أحمد ٩٢٥٥

^٢ مسند الإمام أحمد ٧٧٨٧

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

لأن الإيمان يزيد وينقص، وإذا قوي الإيمان رق القلب ولان، وإذا ضُف الإيمان قسى القلب والعياذ بالله تعالى، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتفقون قلوبهم، ويتفقون ما يطرؤ عليها من تغيير ويشتكون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يجدون من تغيير في حال قلوبهم فيصف لهم النبي صلى الله عليه وسلم الدواء النافع، والعلاج الناجع .

إن قسوة القلب- أعاذنا الله وإياكم منها- لها أسباب، ولها مظاهر، ولها علاج، كل ذلك جاء بيانه في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فأعظم أسباب قسوة القلب الذنوب والمعاصي .

* الذنوب والمعاصي كلما ازدادت من الإنسان كلما قسى قلبه، وكلما استقل منها قلت قسوة قلبه على حسب حاله ولهذا يقول الله عز وجل في كتابه الكريم (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ^١، يعني غطى على قلوبهم الران وهو الصدأ، بماذا ؟

بما كانوا يكسبون بأعمالهم، وذنوبهم، ومعاصيهم ثبتت هذا الرين على القلوب ويقول الله

^١ المطففين ١٤

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
عز وجل (فَبِمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) ^١ ، هذا في وصف اليهود لماذا قست قلوبهم ؟

بسبب نقضهم الميثاق، نقض الميثاق يشمل جميع الذنوب والمعاصي، لأن العبد إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فقد أعطى الله سبحانه ميثاقاً أن يطيعه ولا يعصيه فيقول سبحانه (فَبِمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)، ويصف الله تعالى اليهود أيضاً فيقول سبحانه (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) ^٢ .

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (إن للطاعة نوراً في القلب، وبياضاً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للمعصية لظلمة في القلب، وسواداً في الوجه، وضيقاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق) .

فاذاً أهم أسباب قسوة القلب الذنوب والمعاصي .
* كذلك من أسباب قسوة القلب ترك المستحبات والنوافل التي اعتاد عليها الإنسان، كلما ترك الإنسان

١ المائدة ١٣

٢ البقرة ٧٤

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
شياً من النوافل والقربات التي اعتاد أن يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى حصل شيء من قسوة القلب حتى لو كان معذوراً في تركه، ولهذا فإن المرأة ناقصة عقلٍ ودين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقلٍ ودين، ونقصان دينهم بنقصان الصلاة والصيام وإن كانت معذورة في ذلك، فترك شيء من العبادات حتى إن كان الإنسان معذوراً يسبب قسوة في القلب، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)^١

والغين : قال العلماء في الفرق بين الغين، والرين أن الغين وحشة تعتري القلب بسبب ترك شيء من النوافل أو المستحبات، فالنبي صلى الله عليه وسلم نفسه قال (إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي)، يعني يحصل شيء من الوحشة بسبب ترك شيء من النوافل التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر منها (وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)، هذا علاج هذا الغين، وذهابهُ الإستغفار.

^١ صحيح مسلم ٧٠٣٣

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

* كذلك من أسباب قسوة القلب- أعادنا الله وإياكم منها- سماع الأغاني والمعازف، والإستماع إلى الملاهي، وإلى الأغاني والمعازف، وهذه تقسي القلب أعظم قسوة وفي هذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (الْغَنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ) ^١

كلما كان الإنسان ممن يستمع إلى الطرب والأغاني، والمعازف، كلما قسى قلبه بقدر استكثاره من سماع هذه الأغاني والمعازف، والغناء يُنبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، كلما استمع إلى الأغاني كأنه روى بذرة النفاق في قلبه والعياذ بالله تعالى .

* كذلك من أسباب قسوة القلب- أعادنا الله وإياكم منها- كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل، طبعاً يباح للإنسان أن يتكلم في أمور حياته، وأمور معاشه، ولكن لا ينبغي أن يكثر الإنسان من ذلك، إذا اعتاد الإنسان أن يكون أكثر كلامه في أمور الدنيا،

^١ سنن البيهقي ٢١٥٣٦

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
وأمر المعاش، وأقل الكلام بذكر الله سبحانه وتعالى
أدى هذا إلى قسوة القلب .

فالإنسان له أن يتكلم في أمور الدنيا، وأمور
حياته، ولكن عليه كذلك أن يكثر من ذكر الله- سبحانه
وتعالى- وأن يكثر من الحديث النافع، وفي هذا
المعنى جاء حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
الذي رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
(لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ
ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسَ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ
الْقَاسِي)^١،

وفي هذا المعنى أيضاً جاء في موطأ مالك أن
الإمام مالكا قال : بلغني أن عيسى بن مريم عليه
السلام كان يقول (لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ
فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ
لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ
وَأَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عبيدٌ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى
وَمُعَافَى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى
الْعَافِيَةِ)^٢، هكذا ذكر الإمام مالك عن عيسى بن مريم

^١ سنن الترمذي ٢٥٩٣

^٢ موطأ مالك ١٨٢١

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
عليه السلام في موطنه أنه كان يقول هذا (لا تَكْتَرُوا
الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ
بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ
النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ - لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى
سيحاسب عبيده على ما يعملون - وَأَنْظُرُوا فِي
ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ - الإنسان ينظر إلى الناس ويعلم
أنه عبدٌ مذنبٌ خطاءٌ مثلهم - فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى
وَمَعَا فِي فَارَحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ - الإنسان إذا رأى مبتلى
عليه أن يرحمه ويشفق عليه - وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى
الْعَافِيَةِ، فإذا كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل من
الأسباب المؤدية لقسوة القلب .

* كذلك أيضاً كثرة المزاح والضحك، أيضاً
المزاح والضحك مباح وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً، ولكن الشأن في
الإكثار منه بحيث تصبح حياة الإنسان كلها لهواً ولعباً
كما هو حال كثير من الناس، فالإكثار من المزاح
والضحك واستغراق الأوقات في هذا من أسباب قسوة
القلب كذلك .

وجاء في تفسير قوله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
 وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
 الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ^١ ، جاء في سبب نزول هذه
 الآية الكريمة كما روى ابن أبي شيبة في مصنفه أن
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ظهر فيهم المزاح
 والضحك في فترة من الفترات كثر المزاح والضحك
 في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
 تعالى هذه الآية (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
 قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ
 قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) .

فإذا كثرة المزاح والضحك تؤدي إلى قسوة
 القلب لكن كما بينا فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يضحك، وأحياناً كان يمزح ولا يقول إلا حقاً صلى
 الله عليه وسلم، ولكنه كان لا يتخذ دينه لهواً ولعباً
 ويقضي حياته في الضحك والعبث .

فإذا يجوز المزاح والضحك ولكن لا ينبغي أن
 يُكثر منه الإنسان لأن كثرتة تؤدي إلى قسوة القلب
 أعادنا الله وإياكم منها .

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
* كذلك من الأسباب البعدُ عن مجالس العلم، والبعد عن سماع خطب الجمعة، وعن شهود الصلاة في المساجد، البعد عن ذلك مما يؤدي إلى قسوة القلب لأن سماع ذكر الله سبحانه، وسماع الوعظ مما يرقق قلب الإنسان، فإذا ابتعد الإنسان عن سماع مجالس الذكر، وسماع خطب الجمعة، ونحوها مما يذكر الإنسان بالله سبحانه وتعالى إن هذا الإعراض يؤدي إلى قسوة القلب - أعاذنا الله وإياكم - منها.

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

* وأبرز مظاهر قسوة القلب انعدام الرحمة لأن الرحمة هي لين القلب ورقته، عكس القسوة، فمن المظاهر التي تدل على قسوة قلب الإنسان انعدام الرحمة من قلبه تجاه المخلوقات لأنه كلما قسى القلب كلما قلت رحمة الإنسان بخلق الله سبحانه وتعالى وفي هذا المعنى جاء في الصحيح حديث الأقرع بن حابس التميمي، وكان حديث الإسلام، وكان من جفاة الأعراب فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن أو الحسين أولاد بنته فاطمة رضي الله عنها فقال الأقرع (إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (وأملك أن نزع الله الرحمة من قلبك، من لا يرحم لا يرحم)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما عند الإمام أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)^١.

^١ سنن الترمذى ٢٠٤٩

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

فمن مظاهر قسوة القلب انعدام الرحمة لخلق الله حتى بالحيوان، فالقسوة مع الحيوان أيضاً من مظاهر قسوة القلب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وأن امرأة بغية من بغايا بنى إسرائيل رأت كلباً يلهث، يأكل الثرى من شدة العطش، فخلعت خفها فسقته، رحمت هذا الكلب فخلعت خفها فسقته قال النبي صلى الله عليه وسلم (فشكر الله لها فغفر لها) غفر الله لها ذنبها العظيم بهذه الرحمة التي وجدت في قلبها .

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

أما العلاج الذى يعالج به الإنسان نفسه من قسوة القلب ، فهو ما يلي :

(١) أول أسباب العلاج أن يتوقى الإنسان أسباب المرض، بأن يبتعد عن الأسباب التى تؤدي إلى قسوة القلب التى ذكرناها .

(٢) ثانياً الاستماع إلى المواعظ، وإلى ذكر الله سبحانه وتعالى، أن يجعل الإنسان لنفسه وقتاً يستمع فيه إلى الوعظ والتذكير، إما بالحضور إلى المساجد لسماع مجالس العلم التى يكون فيها التذكير بالله سبحانه وتعالى، لأن الوعظ يحيي القلب فإن لم يستطع الإنسان فليستمع إلى الأشرطة، وإلى بعض المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت وغيرها يستمع فيها إلى شىء من المواعظ، ويجعل لنفسه وقتاً لا بد أن يستمع فيه إلى الوعظ حتى يرق قلبه، ويلين ويزيل الإنسان هذه الغشاوة التى تُغطي القلب، فإن الموعظة ترفق القلب كما جاء في حديث العَرَبَاض بن سَارِيَةَ رضي الله عنه قال (فَوَعظْنَا رسول الله

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
صلى الله عليه وسلم مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ وَجِلَتْ مِنْهَا
الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ^١.

فالموعظة ترقق القلب، وكذلك جاء فى
الصحيح أن موسى عليه السلام ذكّر بني اسرائيل
يوماً حتى وجلت قلوبهم، وذرقت عيونهم، فإذا
الموعظة ترقق القلب لاسيما إذا حَسُنَ قصد الواعظ
أو الناصح، وكذلك صادف هذا قلباً يقبل هذه
الموعظة، لأن قلوب الناس كذلك مثل الأرض منها
أرض طيبة تستقبل هذا الوعظ فتتفاعل به، وتتأثر
ويظهر لذلك أثر على الجوارح، وعلى العمل، وهناك
قلوب قاسية مثل الأرض الصلبة التى لا تنفذ الماء
ولا تُنبت الكلاً .

(٣) ثالثاً من أسباب العلاج كذلك تلاوة القرآن
الكريم لأن القرآن الكريم صلة بين العبد وربّه، فعلى
الإنسان أن يجعل لنفسه ورداً من هذا الكتاب العزيز
يقراً القرآن الكريم، ويتدبره، وعدم تدبر القرآن يؤدي
إلى انغلاق القلب بالأقفال كما قال الله سبحانه (أَفَلَا
يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)^٢.

^١ سنن أبى داود ٤٦٠٩

^٢ محمد ٢٤

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

القلوب التي لا تتدبر القرآن، ولا تتدبر في معاني هذا الكتاب العزيز، وفي معاني كلام رب العزة سبحانه هذه قلوب عليها أقفال، فتدبر القرآن يفتح هذه الأقفال، ويرقق القلوب، ويلينها، وكذلك الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، إذا أكثر الإنسان من قول سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله وهو في الطريق يُكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى فذكر الله سبحانه وتعالى هو غذاء القلب ويؤدي إلى رقيقته ولينه قال الله سبحانه (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ^١

٤) رابعا من أسباب العلاج كذلك مخالطة الضعفاء والمساكين، والبعد عن أهل القسوة، وأهل التكبر وأهل الدنيا، الإنسان إذا كان كل من حوله ممن لا هم له إلا الدنيا، وحديث الأموال والبيع والشراء، ولا يصاحب أحداً من الفقراء، والمساكين، ويعطف عليهم ويحسن إليهم فإن هذا مما يُقسي القلب، وهذا هو العلاج الذي وصفه النبي صلى الله

^١ الرعد ٢٨

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي

عليه وسلم لما جاء الرجل يشتكي قسوة قلبه ماذا وصف له النبي صلى الله عليه وسلم من العلاج؟ فقال (**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِيَنَّ قَلْبُكَ فَاطْعِمِ الْمَسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**)^١،

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ، وَالْمَسْكِينِ كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) هذا عمل عظيم أن تسعي على أرملة أو مسكين، أن تجعل من بين من تعولهُ امرأة أرملة توفي زوجها ولا عائل لها، أو إنسان مسكين لا عائل له فتتفق عليه وتعولهُ وتعطف عليه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)، قال أبو هريرة رضي الله عنه وأحسبه قال (**وَالْقَائِمِ لَا يَفْطُرُ وَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ**)^٢ يعني أجر الساعي على الأرملة والمسكين كأجر المجاهد في سبيل الله وكأجر القائم الذي يُصلي الليل لا يفتر، لا يتعب، ولا يمل، والصائم الذي لا يفطر .

^١ سبق تخريجه ص ٣

^٢ صحيح مسلم ٧٦٥٩

قسوة القلب (أسبابها ومظاهرها وعلاجها) د. وليد المنيسي
فهذه طرق العلاج، و أسباب الوقاية من قسوة
القلب أعادنا الله وإياكم منها .

تم بحمد الله .

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------|
| ٣ | المقدمة |
| ٤ | أسباب قسوة القلب |
| ١٢ | مظاهر قسوة القلب |
| ١٤ | علاج قسوة القلب |
| ١٨ | الفهرس |